دور الجامعات الليبية

في تدريس مادة الثقافة الإسلامية

إعداد: د. الصادق عبدالرحمن الغرياني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه والتابعين .

أما بعد.

فإني قبل أن أتكلم في الدور الهام المعلق بتدريس مادة الثقافة الإسلامية في الجامعات ، أقدم ملاحظتين:

1 ــ الملاحظة الأولى هي: أريد أن أُحْدث تعديلا في العنوان الذي طُلب مني أن أتكلم فيه ، وربما يكون قد طلب من غيري أيضا ، وذلك حتى يكون العنوان معبِّرا عن الحقيقة ، مطابقا للواقع ، حق العنوان أن يكون: ﴿**دور الجامعات الليبية في تدريس مادة الثقافة الإسلامية خلال القرن الماضي**﴾ ، فلم يعد لهذه المادة وجود يُذكر في جداول التدريس في الجامعات منذ زمن بعيد ، وذلك على الرغم من حاجة الطلاب الشديدة إلى هذه المادة ، التي تُعد الحد الأدنى ، الذي ليس وراءه مثقال حبة خردل من علم شرعي ، يُلقى على مسمع طالب الجامعة غير المتخصص .

إذا فالكلام في دور الجامعات الليبية في تدريس مادة الثقافة الإسلامية أصبح اليوم من قبيل الكلام على التاريخ الذي أدبر وتولى ، ولكن ما علينا لعل التاريخ يعيد نفسه .

2 ــ الملاحظة الثانية: أود أن أنبه حتى لا يُتَّهَم القسم الذي تتبعه المادة بالتقصير ، إلى أنّ قسم اللغة العربية لاقى من العنت في محاولات متكررة لإعادة تدريس المادة على نحو شامل وفاعل في العشر السنوات الأخيرة ما لا يسع هذا المقام تفصيلَه .

نداءات الأساتذة في قسم اللغة العربية ومذكراتهم إلى المسؤولين في الجامعة التي تبين أهمية تدريس هذه المادة ، من الناحية التربوية والأخلاقية والإصلاحية

لانحراف الشباب وتطرفهم ، هذه النداءات والمذكرات المتكررة كلها ذهبت أدراج الرياح .

وغياب مادة الثقافة الإسلامية المنتقاة عن التدريس على منهج سليم من قبل أساتذة متخصصين ترك فراغا في عقول الشباب مُلِئ بثقافات مختلطة مشوشة غير منتقاة ، واردة من هنا وهناك ، تمخضت عن وجود فئات في المجتمع تفهم الأحكام الشرعية فهما غريبا .

والبديل الذي يجب في مواجهة هذا التشويش هو ملء الفراغ بمناهج عليمة رصينة متدرجة تحل فيها الدروس الأكاديمية المقننة المسؤولة محل الثقافات المشوشة ، فإن الناس في حاجتهم إلى معرفة دينهم ومعتقداتهم، كحاجتهم إلى الماء والهواء، إذا وجدوا هواء نقيا وماء صافيا، أَنفُوا ورود المستنقعات، وهرَبوا بأنفسهم من الوخَم والتلوث، وإذا لم يجدوا الشراب الزلال، كرَعوا في المستنقعات، وانتقلت العدوى منهم إلى الأصحاء، فتنعكس الآثار السيئة من ذلك على المجتمع بأسره .

فإذا ما جئنا إلى ما ينبغي أن تشتمل عليه مادة الثقافة الإسلامية من موضوعات في التدريس ، فإن لدينا مشكلتين أساسيتين علينا أن نعالجهما من خلال هذه الموضوعات .

المشكلة الأولى: مشكلة خروج جيل من الشباب له مفاهيم غريبة عن الإسلام علينا أن نصححها .

المشكلة الثانية: الجهل بالأحكام الأساسية في الدين التي يتعين على كل مسلم معرفتها ، فإنه من المحزن أن يتخرج الطالب في سلم التعليم حتى يجمع ألقاب العلم كلها ؛ أستاذ ، دكتور ، مهندس ، بروفيسور ، ثم يكون جاهلا بالضروريات في عقيدته وعبادته لربه .

معظم الأساتذة والطلبة على جهل كامل بكثير من الأساسيات في الدين وفروض الأعيان ، والأسوأ في ذلك جهلهم بأنهم يجهلون ، فلو سألت أحدهم عن وقت من أوقات الصلاة متى يبدأ ومتى ينتهي ، وما الوقت الذي يجوز تأخير الصلاة إليه من غير عذر ومتى يحرم ، لما وجدت عند أكثرهم جوابا ، ولا يرون

في جهلهم بهذه الفروض تقصيرا ولا نقصانا يعود عليهم ، فسواء عليهم علموها أو جهلوها ، فهي في نظرهم لا تقدم ولا تؤخر ، لأنها ليست شهادة علمية يترقون بها ، أو يتوظفون ، وليست مهمة (رسمية) تعود على صاحبها بالسفر والعلاوات ، ولو اقترحت تدريس هذه الأساسيات في مقررات الثقافة الإسلامية بالجامعة ليكون شأنها شأن أي علم من العلوم الأخرى التي يحتاج إليها الطالب ، لوجدت معارضة شديدة ، لأنها ليست من علوم العصر التي يحتاجون إليها في نظرهم .

تعقد دورات التقوية للإداريين والمدرسين والطلبة ، في مجالات مختلفة من المعرفة ، في التربية ، في المحاسبة ، في الإدارة ، في اللغة العربية لكن ما سمعنا بعد بدورة تقوية في الثقافة الإسلامية ، لم لا تعقد حلقات لأساتذة الجامعة في تعليم ما فاتهم من أساسيات الدين ، هذا في إطار الجهل بالأحكام الأساسية .

أما في إطار مشكلة تصحيح المفاهيم فعلينا أن نركز للطالب في مادة الثقافة الإسلامية على المنهج السوي في التفكير الإسلامي ، المبني على الفهم الصحيح للإسلام ، كما فهمه سلف الأمة ، أهل القرون الثلاثة الأولى ، مع بيان المناهج الأخرى الدخيلة التي تتكلم باسم الإسلام وليست منه ، ويُعتَنى في هذا الشأن بالجانب التربوي لتلقي العلم الشرعي ، ليعرف الطالب كيف يُكوِّن ثقافته الدينية السوية ، أخذا بالآداب الشرعية التي وضعها علماء المسلمين للعالم والمتعلم ، فيربي الطالب نفسه بصغار العلم قبل كباره ، لا أن يبدأ حياته العلمية بكتاب المحلّى لابن حزم ، ونيل الأوطار للشوكاني ، فيقتنص منهما غريب المسائل وشواذ العلم ، كما هو حال الشباب الذين حُرِموا سُنَّة تلقي العلم عن الشيوخ هذه الأيام .

وتعليم سلامة المنهج هذه من الأهمية بمكان ، إذا أردنا السلامة للشباب ، والسلامة منهم ، حتى يُجَنِّبوا أمتهم ويلات الخراب والدمار ، إن العالم اليوم غربه وشرقه يشير بأصابع الاتهام إلى جماعات من المسلمين لها فهم في الدين يخالف الفهم السائد في الإسلام ، وسواء كان هذا الاتهام صحيحا أو باطلا فهو يُنذر بتدمير وخراب وحروب واسعة النطاق ، والسبب ؟ ، السبب هو فقد المنهج

السوي في التعليم الإسلامي ، والحل في نظري هو دعوة التربويين المسلمين ــ لا التربويون اللادينيون ــ في العالم العربي والإسلامي إلى وضع المنهج السوي المقنع الذي يربي الشباب على الفهم الصحيح للإسلام ، كما فهمه أهل القرون الأولى ، وذلك من خلال تدريس الثقافة الإسلامية في الجامعات وفي غير الجامعات ، ولا يكون الحل بدعوة وزراء الداخلية أو الخارجية إلى اجتماع كما هي العادة ، إن العلاج الذي يفرضه منطق العلم أن نعتني بتدريس الثقافة الإسلامية تدريسا متمكنا قويا فعالا يحصّن الشباب ويربيهم ، لا أن نتهرب من كل ما فيه كلمة (إسلامية) ، حتى إن بعض الجامعات استحيت من الاسم وسمت أقسامها بالدراسات القرآنية ، علاج المفاهيم الخاطئة لا يكون بالحظر وإصدار القرارات ، بل ذلك يقوي الرغبة في الممنوع ، فإن كل ممنوع مرغوب ، واستلاب محفظة أحد بالقوة ممكن ، لكن الحيلولة بينه وبين معتقداته مما لا سبيل إليه ، فلم يبق إلا الإقناع وعلاج الجهل بالعلم .

الخلاصة والمقترحات:

1 ــ تدريس مادة الثقافة الإسلامية له أهمية وطنية ودينية بالغة تتمثل في تحصين الشباب ، وملء الفراغ الديني ، الذي تركه إضعاف مادة الثقافة الإسلامية في الجامعات والمعاهد ، حيث إنه ترتب على هذا الفراغ ــ كما أكدت ذلك عدة ملتقيات متخصصة ــ ضرر بالغ ، تمثلت آثاره السلبية ، في ظهور أفكار متطرفة ، وغلو في فهم الدين ، تميز بالحماس والاندفاع مع ضيق العطن وقلة العلم .

2 ــ ينبغي ألا يقل تدريس مادة الثقافة الإسلامية عن ثلاث سنوات في المرحلة الجامعية ، يدرس في السنة الأولى المنهج السليم لتفكير المسلم وتكوين معتقداته الدينية ، وفي السنة الثانية العقيدة الإسلامية على المنهج الصحيح ، وفي السنة الثالثة تدرس له أحكام الفقه التي يحتاج إليها .

3 ــ الاعتناء بوضع مناهج لمادة الثقافة الإسلامية من قبل أساتذة متخصصين ، بحيث تجمع بين غزارة المادة وحسن العرض وسلامة المنهج ، ودعم

أقسام الدراسات الإسلامية بالجامعات حتى تكون قادرة على أداء هذا الدور بجدارة .

3 ــ يقدم محتوى هذه المادة ليس لطلبة الجامعات فقط ، بل لطلبة المدارس الثانوية والمعاهد وكذلك المساجد لما تقوم به من دور فعال عن طريق الخطابة والوعظ والدروس ، ويكون ذلك بالتعاقد مع علماء لهم كفاية وقدرة على الإقناع وتقديم الثقافة الإسلامية الصحيحة ، بعيدا عن القصص والخرافات والإسرائيليات .

4 ــ لدعم أثر مادة الثقافة الإسلامية ينبغي تشجيع دخول كتب التراث القديمة في التخصصات الإسلامية ، لأن هذه الكتب هي التي يثق فيها الناس على مختلف فئاتهم ومستوياتهم ، ولا تجد في كتب التراث عادة ما يدعو إلى التعسف ، بل جميعها يمثل الفهم المعتدل السوي للدين .

أقول قولي هذا وأستغفر الله ، وهو حسبي ونعم الوكيل

الصادق بن عبد الرحمن الغرياني

الجمعة، 4 رجب 1422 هـ

21 سبتمبر، 2001